



دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال
Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

قدمت هذه الورقة في ندوة "دولتا السودان.. فرص ومخاطر" بالدوحة

١٤ و ١٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٢

دارفور وتداعيات الانفصال

د. حامد التجاني علي

باحث وجامعي سوداني



مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES



دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks



د. حامد التجاني علي

نحن نتحدث عن تاريخ لم تنته حلقاته بعد، لأننا نشهد تغيرات متصاعدة، وبشكل درامي. كما أننا لا نريد تبسيط القضايا، ونقفز فوق حقائق الواقع، لأنه لا يخدم شيئاً.

الواضح أن السودان يسرع نحو الفوضى والتفكك، فالسابقة التاريخية لفصل الجنوب، أمر ملهم وجذاب للمناطق المهمشة في السودان، بما فيها دارفور.

وتعتبر الأسباب الجذرية للصراعات في السودان متشابهة، حيث يوجد الكثير من القواسم المشتركة والتاريخ المشترك بين الجنوب ودارفور والمناطق المهمشة الأخرى في السودان. ومن أوجه الشبه تلك:

- ١ - مؤتمر برلين عام ١٨٥٤ حين منح إقليم دارفور لفرنسا بموافقة بريطانيا، ليضم إلى السودان حديثاً سنة ١٩١٦. والجنوب أيضاً، كان له حكم مستقل حسب قانون المناطق المقفولة لسنة ١٩٢٦.
- ٢ - عند جلاء الإنجليز، وسودنة الوظائف سيطرت النخب النيلية في الشمال على جميع الوظائف البالغة حينها ثمانمائة وظيفة دون اعتبار لأقاليم الأخرى حيث نال الجنوب ست وظائف ولم يحظ دارفور بأي وظيفة.
- ٣ - استمر ميزان الاختلال في تحريك الموارد، من جملة ١٣ بليون دولار (إجمالي المنح والمساعدات الخارجية) ١٩٥٨-٢٠٠٣ كان نصيب دارفور لا يتعدى ٢%.





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

٤ - مأساة الجنوب التي استمرت أكثر من ٢٠ عاما، دفع فيها شعب الجنوب فلذات أكبادهم ولم يطالبوا بالانفصال، إلا بعد أن تحولت الحرب إلى حرب إيديولوجية مما زاد في الحزازات والأحقاد وعمق الجراح.

وعليه فنزاع دارفور يمكن أن يأخذ أبعادا إيديولوجية وطنية، ويعبر عن تطلعات وطنية.

هنا كربة كبيرة، من أبناء دارفور في الوصول إلى حلول ملائمة في إطار الدولة السودانية الموحدة، ولكن إذا تأزم الوضع ربما يدفع بالأمر في اتجاه إيديولوجي يفترض استحالة التعايش في قطر واحد، حيث لا يمكن أن يستمر الوضع الراهن طويلا في دارفور قبل أن تقوم قوى كبيرة داخل دارفور بالمطالبة بحق تقرير المصير، ويمكن تبرير مثل هذا الطلب في إطار أسباب شرعية كثيرة وسوابق بما في ذلك استمرار الإبادة الجماعية ووجود المبررات القانونية السياسية والتاريخية.

فلا يمكن أن يقبل إنسان بوحشية الحملات العسكرية ومعسكرات اللجوء وللأسف فالحل العسكري هو السمة الغالبة على سياسة حكومة البشير.

يؤكد هذا الصراع أن مشروع الدولة الوطنية في السودان قد فشل وقد بدأ عصر الانتماءات الصغيرة القبلية والإثنية يطل على سماء السودان. هنا يأتي دور النخب لإعادة تقييم مسلكها وسلوكها في إدارة الولاية العامة، وإعادة صياغة الدولة السودانية على أسس جديدة مفاهيم عصرية، فالحلول الأمنية عفى عليها الدهر، وإرادة الشعوب أقوى من جبروت السلطان.

تكلفة الحرب

لا يمكن تقدير الخسائر البشرية والنفسية التي ترتبت على تلك الحرب وما ارتبط بها من تمزق للنسيج الاجتماعي للدولة وتدهور سمعتها.





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

كانت تكلفة هذه الحرب عالية على المستوى الاقتصادي ما بين سنتي ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٩:

- فقد دفع الشعب السوداني ٣٥ مليار دولار اي ما يعادل ٢٣٣% من الناتج المحلي الإجمالي (GDP)، منها:
 - ✓ ١٠,٨ مليون نفقات عسكرية مباشرة،
 - ✓ ٦,٢ مليون في صورة خسائر في الإنتاج فقدتها النازحون والمتأثرون بالحرب.
 - ✓ ٢,٦ مليون خسائر الدخل للذين قضوا في حرب الميادين.
 - ✓ ٤,١ تدمير البنية الأساسية.
 - ✓ ١١ مليون تكلفة قوات حفظ السلام وامتداد الصراع إلى تشاد وإفريقيا الوسطى.
- تنفق الحكومة في دارفور ما يعادل ٢٣% في المجهود الحربي في دارفور وفي الوقت ذاته تنفق ١,٢ إلى ١% للتعليم والصحة.

أسباب الحرب بين المركز والهامش

سيطرة أقلية من الشمال على السلطة والثروة منذ استقلال البلاد، أخلت بالتوازن بين المركز والهامش.

وهناك عوامل أساسية لثورة دارفور:

- غياب التنمية واختلال معادلة توزيع الثروة والسلطة.
- غياب الحكم الراشد.
- منافسة على الموارد.
- تسييس الإدارة الأهلية.
- التدخل الحكومي في إعادة تنظيم الحدود الإدارية وتقسيم الإقليم.





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

كما أن هناك عوامل مساعدة:

- الجفاف والتصحر.
- الصراعات البيئية.
- انتشار السلاح.
- الصراعات القبلية.

استراتيجية الحل الأمني: الدفع نحو مرحلة جديدة

تقسيم دارفور إلى خمس ولايات على أساس قبلي وإثني، سياسة "فرق تسد" من خلال خلق الخلافات والصراعات وسط النخب الإقليمية والقبلية، وجذب بعضها إلى صف الحكومة لمواجهة الآخرين.

هذا المخطط يفتقد حتماً إلى جدوى اقتصادية، فقد تم توزيع أصول ولاية جنوب وغرب دارفور إلى أربع ولايات، فقد أصبحت الدولة غير قادرة على القيام بمسؤولياتها في دارفور. وآثرت أن تقاتل معارضيها في دارفور ضد دارفور عن طريق حرب بالوكالة.

فهذا تقسيم يؤكد على الحل الأمني، ويخلق كتونات /وحدات صغيرة لإدارة المعركة الأمنية، والأخطر من ذلك إيجاد وطن بديل للمجموعات الوافدة من النيجر وتشاد على حساب أهل الأرض. وهذا يؤكد فقدان الدولة لمسؤولياتها المتأكدة أصلاً، وربما تفقد السيطرة على الإقليم، لأن الدولة أصبحت جزءاً من الصراع.

إذا ما أردنا أن نبدأ بداية جديدة فإنه من الضروري لشعب دارفور، بما في ذلك الحركات المسلحة، أن تأخذ وقفة حقيقية، في ظل تحرر الشعوب والانعقاد من قيود الاستعمار والاستبداد بعد معاناة دامت أكثر من تسعة أعوام. ما هو الهدف النهائي لنضال شعب دارفور؟ وكيف يمكن تحقيقه؟





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

الهدف النهائي إعادة هيكلة المركز، لخلق توازن سياسي واقتصادي وتنموي. ما هي الخيارات:

- ١ - تسوية عادلة وشاملة وجامعة عن طريق تفاوض.
- ٢ - أو انتصار واضح وتغيير النظام.
- ٣ - أو فصل دارفور عن السودان.

أطرح سؤالاً لشعلة السودان وبخاصة النخبة في صفوف المركز: فهل يمكنهم أن يتحملوا هزيمة تفتت السودان بعد الجنوب؟ هل هم على استعداد للعيش في غطار الفوضى والحرب الشاملة؟ وفي الواقع تتحمل النخب الشمالية المسؤولية التاريخية عن العمل من أجل التغيير الديمقراطي من أجل ضمان وحدة ما تبقى من السودان على أسس جديدة.

منهجية لوضع إستراتيجية لتحديد مستقبل سياسي لدارفور داخل السودان

تمثل هذه الاستراتيجية رؤية لأنها تولي اهتماماً ضئيلاً للتطورات الحالية والمستقبلية للأزمة في دارفور. فهذه الرؤية تركز على تطور الشكل النهائي للإطار السياسي الذي يعبر عن مستقبل دارفور داخل دولة السودان، والأساس المنطقي لهذا النهج هو أن القرارات العديدة والمتعاقبة منذ ٢٠٠٣ انتهت بقليل من التوقعات والإنجازات.

ولكي تكون العملية الجارية لتوسية النزاع لا بد من القفز إلى صيغة "العودة إلى المستقبل" لتصور المواقف الممكنة لدارفور داخل السودان، ومن ثم يتراجع مرة أخرى إلى الحاضر، والعمل عندما لتحقيق هذا الوضع المستقبلي، هذا بالضبط ما فعله الدكتور جون غرنق، وهذا لا يعني أن حق تقرير المصير سيكون ممكناً بالنسبة لشعب دارفور طالما توجد خيارات أخرى قد تكون أفضل بكثير بالنسبة لهم داخل هيكل السودان. فلأهل دارفور لا بد من سياسات ترجح بين التكتيك والرؤية لخلق السودان موحداً قبل خروج الأمور عن السيطرة بسبب التكتيكات العكسية من المتشددين الموالين لحزب المؤتمر الوطني. ويمكن القول إن اتفاق السلام الشامل ليس هدفاً في حد ذاته بل كان نتاج الإرهاق والإحباط ومخرجا لإنهاء الحرب.





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

التكتيك السياسي لحركة الجيش الشعبي لتحرير السودان

قام الجيش الشعبي لتحرير السودان باستخدام العديد من التكتيكات لقيادة جنوب السودان إلى نقطة تحرير المصير التي من خلالها سيقدر ما إذا كان سيبقى أو سينفصل عن السودان الموحد. ومنذ الجولة الأولى من مفاوضات حكومة الخرطوم التي جرت في أبوجا بنيجيريا عام ١٩٩٢، ومن خلال جولات نيفاشا التي أنتجت اتفاق سلام شامل عام ٢٠٠٥ كان الدكتور جون غرنق قد ابتكر العديد من النماذج لحلول ممكنة لإنهاء الحرب والحفاظ على وحدة السودان. قال إنه وأتباعه دعموا النماذج التالية واحدا تلو الآخر في طريق طويل لاتفاق السلام الشامل وأعربوا عن اعتقادهم بأن:

- **النموذج الأول:** نموذج السودان القديم العربي الإسلامي، لا مكان لغير العرب والمسلمين. هذا النموذج سبب للصراعات ولا أمل في عيش في ظل هذا النموذج. ومن هنا فلا بد أن يذهب ها النموذج.
- **النموذج الثاني:** نموذج السودان الإفريقي الأسود المتحد، وهو كيان متسامح ولكن مهيم على السودان الموحد. وهذا النموذج غير مستقر، حيث العب والمسلمون في الشمال سيقاومونه، وسوف يجبر بدوره الأفارقة السود في اتجاه عكسي للمطالبة بسودان إفريقي أسود.
- **النموذج الثالث:** السودان العلماني الديمقراطي المتحد (السودان الجديد).
قد ينتج هذا بعد فترة انتقالية وحدة السودان، في فترة الانتقال يمكن للشعب في الشمال والجنوب من ردم الفجوة وتقليل الخلافات التاريخية حول الهوية والدين والتنمية والتخطيط والتهميش والتميز بالإضافة إلى توسيع مجالات ذات الاهتمام المشترك مقل القومية والوطنية والتسامح الديني... السودان ديمقراطي موحد يراعي توفير العدالة والمساواة للجميع بغض النظر عن الدين أو العرق أو الجنس...





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

- [النموذج الرابع](#): الكونفدرالية: دولة شمال + دولة جنوب + كيان مشترك.
- [النموذج الخامس](#): نموذج الانفصال: خلال فترة انتقالية إذا استمر باختلال موازين التنمية بين الشمال والجنوب نتية لحتمة الانفصال.
- [النموذج السادس](#): نموذج اتفاق السلام، السودان واحد بنظامين خلال الفترة الانتقالية. فهو نموذج كونفدرالية.
من أجل الحفاظ على وحدة السودان توجد ثلاثة خيارات:

[الخيار الأول](#)

طرح كونفدرالية تقسيم السودان إلى ستة كيانات: دارفور – كردفان – الشمال – الشرق – الخرطوم – الوسط، والكيان الموحد. وتدار هذه الكيانات رئاسة دورية. وربما يكون هذا النموذج هو أفضل الخيارات لكل السودان.

[الخيار الثاني](#)

رؤية الدكتور إبراهيم خليل: وتقوم هذه الرؤية على خلق تحالف عريض من القوات المسلحة، والفصل بين القوات المسلحة والنظام، وضرب حزب المؤتمر الوطني في عقر داره، والدلائل تشير إلى أن الحركة ماضية في مشروع إسقاط النظام، وقيام نظام تعددي ديمقراطي يساوي بين أبناء الوطن.

[الخيار الثالث](#)

تأثير الربيع العربي على السودان بحيث يتلاحم أهل السودان في مشهد وطني لإنقاذ السودان من براثن الجوع والفقر والمرض... فلا بد من الديمقراطية ولو طال السفر.

انتهى

